مخلص خطبة الجمعة ٢٠٢٠/١٢/٢٥م

كان حضرته في الخطبة الماضية قد تطرق في سياق حديثه عن سيدنا علي رضي الله عنه، للفتنة التي تعرض لها المسلمون في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه. ويتابع في هذه الخطبة الحديث عنها ويذكر ما قاله حضرة المصلح رضي الله عنه "الفتنة التي اندلعت في عهد سيدنا عثمان ﷺ لم تكن من قبل الصحابة، بل من أولئك الذين جاؤوا متأخرين و لم يسعدوا بصحبة النبي ومجالسته ﷺ. لذلك فقط نبه حضرته إلى ضرورة الحفاظ على التواصل مع المركز والخلافة، وإذا فعلتم ذلك فسوف تتم التربية جيدا.

ثم علق حضرته أن التواصل مع الخلافة يكون:

- متابعة قناة إم تي إيه ببرامجها المختلفة وبالأخص خطب الجمعة.
- قراءة كتب المسيح عليه السلام.

وهذه الفتنة الكبيرة كانت قد أسفرت عن:

١. مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه.
٢. معركة الجمل.
٣. حرب صِفّين.
٤. حرب الخوارج.

معركة الجمل: يقول سيدنا الخليفة الثاني ﷺ في هذا الخصوص: تمكّنتْ جماعةٌ من قَتلةِ عثمان رضي الله عنه، مِن إقناع السيدة عائشة رضي الله عنها، بإعلان الجهاد لأخذ الثأر من قتلة عثمان ﷺ. فنادت رضي الله عنها بالجهاد ودعت الصحابة لنصرتها، فانضمّ إليها سيدُنا طلحة وسيدنا الزبير، وتقاتلَ جيش عليّ وجيش عائشة وطلحة والزبير، وتسمى هذه الحرب بحرب الجمل. ولكن الزبير انسحب في بداية المعركة وامتنع عن القتال بعد أن سمع من عليّ نبوءة للنبي ﷺ تخصه، وحلف أنه لن يقاتل عليًّا واعترف بخطئه في اجتهاده. فلما انتشر هذا الخبر في الجيش اطمأن الجميع أنه لن تكون الحرب الآن، بل سوف يتم الصلح، لكن أصاب المفسدين اضطراب كبير، فلما غشي الليل دبروا لمنع الصلح بحيث أن منهم من كانوا مع علي، فهاجموا جيشَ عائشة وطلحة والزبير ﷺ ليلا، ومنهم من كانوا في جيش هؤلاء الثلاثة فهاجموا جيشَ علي ﷺ ليلا مما تسبب في إحداث ضجة، وظن كل فريق أن الفريق الآخر قد خدعه، مع أنها في الحقيقة كانت مؤامرة السبئيين فقط.

فلما اندلعت الحرب نادى علي ﷺ أن يخبر أحدٌ عائشةَ رضي الله عنها، لعل الله يزيل الفتنة بسببها. فجيئ بجمل عائشة رضي الله عنها إلى الأمام، لكن النتيجة كانت أكثر خطورة، لأن الثوار رأوا أن خطتهم تكاد تفشل، فبدأوا يرشقون جملها بالسهام. فصاحتْ عائشة رضي الله عنها بشدة أن كُفّوا عن الحرب أيها الناس، واذكروا الله ويوم الحساب. لكن المفسدين لم يكفّوا وظلّوا يطلقون السهام إلى جملها. وكان أهل البصرة مع الجيش الذي اجتمع مع عائشة رضي الله عنها، فاستشاطوا غضبا برؤية إهانة أم المؤمنين رضي الله عنها، فاستلّوا السيوف وشنّوا الهجوم على الجيش المخالف. فصار جمل عائشة رضي الله عنها مركز القتال، والتفّ حوله كبار الصحابة البواسل وبدأوا يسقطون صرعى أحدهم تلو الآخر، ولم يتـــركوا زمام الجمل.

أما الزبير رضي الله عنه فلم يشارك في القتال بل خرج إلى جانب، ولكن أحد الأشقياء تتبّعه وقتله وهو ساجد يصلي. أما طلحة رضي الله عنه فاستشهد في المعركة على أيدي هؤلاء المفسدين وقد بايع عليا رضي الله عنه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. لما اشتد القتال ظن البعض أن القتال لن يتوقف ما لم تتم إزاحةُ عائشة رضي الله عنها من ساحة القتال، فعقروا جملها، وأنزلوا هودجها ووضعوه على الأرض. فتوقف القتال. فلما رأى ذلك عليٌّ ﷺ احمرَّ وجه حزنًا، إلا أنه لم يكن بُدّ مما حصل. وبعد انتهاء القتال عُثر على جثمان طلحة ﷺ ضمن القتلى، فأبدى علي ﷺ أسفا بالغا على ذلك.

وفي نهاية مشهد الجمل جهّز علي ﷺ عائشة رضي الله عنها بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع وشيعها بنفسه وأخرج معها كل من شاء. فقد حسم خلاف الصحابة مع علي رضي الله عنه في حرب الجمل نفسها.

حرب صفين:

اندلعت بين عليّ ومعاوية في عام ٣٧ من الهجرة. كان معاوية مصرا على أن يسلّم إليه عليٌّ قاتلي عثمان. أُعلنت الحرب رسميا في مستهل شهر صفر. ظلت الحرب جارية إلى فترة دون نتيجة حتمية حتى خارت همة معاوية. وفي هذه الحالة الخطيرة أشار عليه عمرو بن العاص أن تُرفع نُسخ المصاحف على رؤوس الرماه ويطلَب الحكم بحسب القرآن الكريم، ففعل ذلك. وقد ذكرت كتب التاريخ هذا الحدث بـــ "التحكيم". انتخب الشوام عمرو بن العاص وعيّن عليّ ﷺ أبا موسى الأشعري وتفرقت الجيوش بعد التوقيع على الميثاق. كان هذا التحكيم في الحقيقة في حادث قتل عثمان ﷺ، وكان مشروطا بأن يكون قرارهم متفقا مع القرآن الكريم، ولكن عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري قرّرا بعد التشاور فيما بينهما أن يعزلا عليّا ومعاوية أولاً، لأنهما هما السبب وراء المصيبة التي حلت بالمسلمين جميعا، ثم يختار المسلمون بحرية خليفةً لهم، فعقدا اجتماعا عاما للإعلان عن قرارهما، فقال فيه عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري: أنت تعلن عن قرارك

أولاً، ثم أعلنُ أنا. ....فأعلن أبو موسى الأشعري أنه يعزل عليًّا عن الخلافة. فقام عمرو بن العاص وقال: لقد عزل أبو موسى الأشعري عليًا، وأنا أتفق مع قراره وأعزل عليًّا، ولكني لا أعزل معاوية، بل أقرّ باستمرار إمارته. ولكنّ عليا ﷺ رفض قبول هذا القرار، وقال: لم يعيَّن الحَكمان لهذا الغرض أولاً، ثم إن قرارهما ليس مبنيًا على أي حُكم من القرآن الكريم.

حرب الخوارج:

اعترض بعض المنافقين من أتباع علي على موضوع التحكيم، حيث رأوا أن تعيين حَكَمٍ في أمور الدين لا يجوز؟ فالأفضل أن يعترف بخطئه ويتوب.

فرد عليهم عليّ ﷺ قائلا لم أرتكب أي خطأ، لأن الأمر الذي عينتُ فيه حَكمًا يجوز تعيين حَكم فيه بحسب الشريعة، لكن هؤلاء القوم لم يقبلوا عذر عليٍّ ﷺ، وخرجوا من بيعته، فسُمّوا "الخوارج"، واخترعوا لهم مذهبًا جديدا بأنه ليس هناك أي خليفة تجب طاعته، وإنما يجب العمل بما يراه أكثرية المسلمين، لأنّ القول بأمير واجب الطاعة له يخالف مبدأ: "لا حكم إلا لله". وبدأ الخوارج أعمالهم المفسدة حيث جعلوا عبد الله بن وهب إماما لهم وانتقلوا من الكوفة إلى النهروان. كما جمع الخوارج في البصرة أيضا فئتهم التي التحقت بجيش عبد الله بن وهب في النهروان. لقد قتل الخوارج عبد الله بن خباب -أحد صحابة الرسول ﷺ- لولائه مع علي وبقروا بطن زوجته الحامل وقتلوها بلا هوادة كما قتلوا ثلاث نساء من طيء. فلما بلغت عليًّا هذه الأوضاع أرسل الحارث بن مرة سفيرًا له ليحقق في الأمر غير أن الخوارج قتلوه. ونظرًا إلى هذه الأوضاع ترك عليّ الخروج إلى الشام وبدلا من ذلك توجه ليتصدى للخوارج بجيشه البالغ عدده ٦٥ ألفا الذي كان قد أعده للشام. نجا عدد قليل من الخوارج وهم دون العشرة، واستشهد من جيش علي سبعة أشخاص.

ثم لفت حضرته أنتباه أبناء الجماعة إلى ضرورة الدعاء للأحمديين في باكستان والجزائر. وأن يركزوا بشكل خاص على النوافل والأدعية، ويكثروا من دعاء: رب كل شيء خادمك رب فاحفظني وانصرني وارحمني، ودعاء: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذبك من شرورهم. كما ينبغي أن يركزوا على الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، فهناك حاجة ماسة إليها. وينبغي أن يركزوا على أداء النوافل أيضا. وفقهم الله تعالى لذلك وحسّن الأوضاع هناك.

ثم صلى الجنازة على السيدة حُمْدى عباس، السيد رضوان سيد النعيمي من العراق، السيد ملك علي محمد القاطن، والسيد إحسان أحمد ابن شفقت محمود من لاهور، والمرحوم رياض الدين شمس الابن الأصغر لحضرة مولانا جلال الدين شمس، رحمهم الله جميعا. إنا لله وإنا إليه راجعون.